المشهد الروائي الجديد في مصر: [2]

استهانة باللغة واحتفاء بالركاكة وكتّاب يرون الرواية العربية لا زالت غربية ولاتينية والتلفزيون قضى على القارئ

منصورة عز الدين (القدس العربي)

حمدي الجزار (القدس العربي)

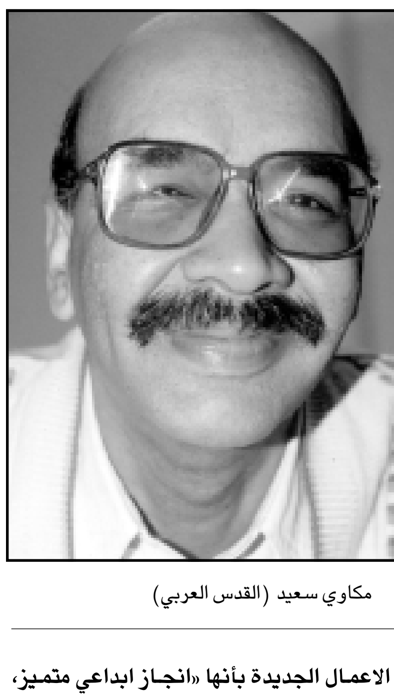
مكاوي سعيد (القدس العربي)

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمود قرني:

هذه الشهادات الغاضبة ـ في معظمها ـ تعكس واقعا اردنا تسجيله وتثبيت زواياه بقصد النظر اليه بمزيد من التأمل.

اردنا في هذا الاستطلاع التوقف امام عدة اشكاليات تطرحها الرواية الجديدة في مصر، بالتزامن مع الانحسار المنظور للقصة القصيرة وللشعر معاً، بالاضافة لتعثر اشكال فنية مؤثرة تعتمد الاشكال الجماعية وتفتقر الى الدعم والى غياب المشروع مثل المسرح والسينما، ولا يتم ذلك بانفصال عن اتساع الهوة بين المنجز الابداعي ـ بشتى صوره ـ وبين متلقيه، دون الافتئات على ارقام التوزيع واعداد المشاهدة التي يتجرأ ويعلنها اصحاب مصلحة هنا او هناك.

الرواية الجديدة في مصر ساعية ـ بالتأكيد ـ للتماس مع افكار الواقع الانساني في صورته المعولمة، فثمة قناعات مفرطة بتفتيت المركزية الروائية من دون انفصال عن مفهوم تفتيت المركزية القومية، وهناك عودة للجيتوهات المهمة والجماعات الصغيرة، التي تمثل نقائض هذا المركز الذي عاش مقهورا بفكرة صناعة العقل العام، وتعاظمت ايضا مفاهيم العمل الفردي والذوات المتشظية التي ترفض ان تتزيا بمسوح الرهبان والقديسين، لذلك سنجد اعتمادا واسعا ومفرطا للغة هشة، رومانسية، تنأى ـ بكل قوة ـ عن التركيب والمعاضلة والتأويل، سنجد سيرة شخصية تضفي على آثامها حيادية تشي بأن آخرين هم مقترفوها، وفي كل الحالات لا يتم ذلك بعيدا عن الوعي العام بالتفكك المأساوي الذي لحق بالشخصية المصرية والعربية على السواء، وترسيخ مثل هذه الصورة عمق فكرة المبدعين الجدد عن المفهوم السالب للالتزام، وباتت الوظيفة الابداعية مخيفة الى حد المخاطرة. وربما كان ذلك كله يقبع خلف الانجاز النوعي للرواية الجديدة الذي ـ لا شك ـ ميزها عن رواية الاسلاف، بمن في ذلك الاسلاف من ذوي القربى، وهذا هو نص السؤال الذي وجهناه الى المشاركين في هذا الاستطلاع:

«حققت الرواية الجديدة طفرات نوعية في عدة مفاهيم سواء على مستوى السرد او اللغة، وكذلك على مستوى الوعي بالذات لكنها ظلت رهينة ذوات محدودة وعوالم افقية لا تؤمن بأهمية الوعي المركب في النظر الى العالم.

ترى ما هو المستقبل الذي تراه لهذه الكتابة، وبأي معنى يمكن تصنيف تجاربها الراسخة، وهل يمكن لهذا الوعي بالعالم ان يعد بصياغة جديدة تحدث في اطار تجربتك؟».

ولا يزعم هذا الاستطلاع لنفسه النهوض بالتغطية الجامعة للمشهد فهناك اسماء مهمة غابت عن المشاركة لأسباب مختلفة، ولا يزعم كذلك انه سيكون آلية وحيدة للفرز وان زعم انه خطوة في طريق هذه القراءة الكاشفة.

وتتبقى بعض الملاحظات:

لم يلتزم كثير من الكتّاب بنص السؤال وبدا جيل الستينات في خلفية المشهد قابعا رغم التأكيد الدائم على اشراف دوره على النهاية.

ما يبدو وكأنه عنف وغضب من بعض شباب الكتاب يعكس الأزمة التي وصلت اليها المؤسسة الثقافية، التي عليها الواجب الاول في تقديم كافة الظواهر وتهيئة المناخ لقراءتها وفرزها دون وساطة، ودون القائها في «مستوطنات العقاب الجماعي» التي تعاني من ثقلها الآن، ويبدو انها ستظل كذلك لأمد ليس قصيرا.

وهنا نص شهادات الروائيين الجدد:

الرواية الجديدة بين الاستسهال والرغبة في التجاوز!

منصورة عز الدين

■ أي كتابة لا تكشف المأزق الوجودي للانسان في هذا العالم، ولا تحاول فك متاهة النفس الانسانية هي عبارة عن كلمات ملساء مرصوصة بجوار بعضها البعض لدغدغة المشاعر.

الكتابة الجيدة هي تلك التي تطرح اسئلة شائكة وتتماس مع المسكوت عنه بمعناه الواسع، هي التي تهدف لاقلاق القارئ واستفزازه وهز يقينه الثابت، والرواية تحديدا هي نوع أدبي ضد اليقيني والمستقر، فمن بين السطور تتوالد مئات الاحتمالات والمعاني، التي ربما حتى لم يقصدها الكاتب بشكل مباشر، لأن للكلمات سلطتها الخاصة البعيدة عن سلطة مبدعها، اللغة خوّانة بطبيعتها، والعمل الجيد هو ذلك الذي يخون صاحبه، ويخلق لنفسه وجودا قائما بذاته، بحيث ينفتح على تأويلات جديدة مع كل قارئ، فكل رواية جيدة تملك سرها المقدس المبثوث بين شخصياتها واحداثها، وتعطي نفسها لكل قارئ على قد اجتهاده.

هذه مقدمة لا غنى عنها قبل الحديث عن «الرواية الجديدة» في مصر التي يحوطها الكثير من الالتباس. بشكل شخصي انزعج بشدة من الميل المتوارث لوضع الجميع في سلة واحدة لمجرد تواجدهم ـ بصدفة بحتة ـ من جيل واحد.

توجد بالطبع روابط تجمع بين من تم الاصطلاح على تسميتهم بكتّاب الرواية الجديدة في مصر، ولعل أهم هذه الروابط هو ذلك التوق الشديد لتجاوز الواقع إما عبر مزجه بالغرائبي او السخرية الشديدة منه، او التعامل معه بحياد مطلق.

كما تتسم الكتابة الجديدة ايضا في معظمها بالتجرؤ على الكثير من المسلمات القديمة، واعادة النظر فيها، سواء أكانت مسلمات سياسية او دينية او اجتماعية.

لكن وفي الوقت نفسه توجد تباينات عديدة على مستوى الخبرة والتجربة والرؤية للعالم، ان اخطر ما يهدد الكتّاب الجدد في مصر ـ من وجهة نظري ـ هو ذلك الاصرار على التعامل معهم باعتبارهم كتلة واحدة متماثلة تكتب نصا واحدا.

لكن عليّ ان اعترف ان بعض هؤلاء الكتّاب قد ساعدوا على ترسيخ هذا الاعتقاد، حين حصروا انفسهم في مساحة ضيقة مرددين الاقوال التي صارت اكليشيهات بائسة مثل: «نحن لا نكتب إلا عن ذواتنا لأنها الشيء الوحيد الذي نعرفه»، وما الى ذلك. لأن المقولات والتنظيرات المسبقة عادة ما تظلم الابداع، كما ان هذه المقولات سمحت للكثيرين بالتجرؤ على فن الرواية دون توافر الموهبة او الدراية الكافية بتقنياته. لقد تحول هذا النوع الادبي في نظر البعض الى مجرد سرد لتجارب ذاتية ضيقة، وهو ما قد يؤدي بالرواية «الجديدة» في مصر الى مأزق صعب، خاصة مع سهولة النشر وعدم وجود فرز نقدي حقيقي.

الرواية من وجهة نظري ليست مجرد القدرة على حكي حدوتة شائعة، وليست مجرد البراعة في الوصف وبناء المشاهد والاحداث، هي قبل أي شيء آخر بناء محكم متكامل قائم على التركيب: تركيب عوالم وشخصيات، ورؤية عميقة للعالم من حولنا.

واللغة هي وسيلتنا الاولى لخلق هذا العالم المركب، وسوف يكون من العبث ان نتوقع رواية مركبة محكمة البناء، دون توافر لغة قوية تتسم بالحيوية والحساسية، لا أحب ان اقع في التعميم، لكنني ألاحظ ان بعض الكتّاب الجدد يتعاملون مع اللغة بنوع من الاستهانة ولن اقول الركاكة.

أنا هنا لا اتكلم عن اللغة الجميلة بالمفهوم الرومانتيكي، وانما اللغة المعبرة المتخلصة من السنتمنتالية التي تستخدم احيانا كقناع يخفي السطحية وانعدام العمق.

المشهد الروائي واقنعة التزوير

مكاوي سعيد

■ ترتفع مقولات ساذجة هذه الايام بأن الرواية العربية تعيش أزهى ايامها، وان الرواية ديوان العرب بينما المشهد الروائي العربي المعاصر بائس وغث ومحدود.

فالمقارنة ظالمة جدا بيننا وبين الابداع الروائي العالمي الذي يسبقنا بأربعة قرون على الاقل على مستوى الابداع واشكال التطور والتجديد والمواكبة النقدية لكافة الاشكال الابداعية حتى وصلت الينا الرواية الحديثة الآن سواء كلاسيكية او منبثقة عنها او منشقة او خارجة عنها، وابداعنا الروائي العربي ما زال ابداعا نقليا لم يخرج عن النسق الاوروبي إلا في محاولات تعد على الأصابع.. والكاتب العربي وهو يكتب على المنوال الغربي يتصور واهما ان هذا سيضعنا على خريطة الابداع العالمي، أي انهم يتعاملون مع الابداع بنفس تعاملهم مع اجهزة التكييف ووسائل الاتصالات الحديثة كمستهلكين لها وليس مخترعين.. وفي تعاملهم هذا تجاهلوا السنوات والقرون التي نمت وتطورت فيها الرواية الغربية.. وقفزت كتاباتهم الجديدة الى ما سبقنا به الغرب فنأت بذلك عن القارئ وابتعدت بموضوعاتها الغربية وشخصياتها عن محليتنا الفريدة لتصبح نسخا مشوها من ابداع الآخر.

وابحث داخل بعض من يشار اليهم بالبنان في الرواية العربية ستجد ان الفلاح هو الفلاح المكسيكي او الكوبي والمحصول هو شجر الكاكاو او عنب النبيذ والعلاقات اوروبية او غربية مقولبة على النمط العربي. وبالرغم من ايماننا بنظريات الفن القديمة التي ابتدعها الغرب يجب ان تكون لنا رؤية مغايرة مستمدة من تراثنا الشرقي الانساني، فبخلاف مشروع نجيب محفوظ الروائي المخلص لبلزاك والوفي للرواية الكلاسيكية والذي عكف على ابداعه لسنوات تلو السنوات غير آبه بالنقد المؤيد او المخالف، ويوسف ادريس الذي ابدع قصصه القصيرة وعينه على الادب الروسي كتلميذ له ثم منافس حتى تبوأ مكانته الكبيرة وبعض ارهاصات عبد الرحمن منيف وحنا مينا واعمال ابداعية استثنائية للطبيب صالح وصبري موسى ومحمد خليل قاسم، لا يوجد الآن ادب عربي يؤهلنا لنكون في ذيل قائمة الابداع العالمي فضلا عن ان نكون منافسين له.

كتّاب امريكا اللاتينية تفوقوا علينا كثيرا بابداعهم المحلي وبغوصهم في تراثنا الشفاهي والمكتوب وحتى حين انتبهنا لذلك وانساق بعض كتّابنا محدودي الموهبة للكتابة على غرارهم فخرجت اعمالهم مسخا مشوها. الادباء تفرغوا لتكوين شبكة علاقات عامة مع الصحافة والنقاد (محكمو الجوائز الادبية الكبرى) كجسر للظهور على شاشات الفضائيات وكمعبر لتلقي الاموال المشبوهة التي تدعم دورهم التافه في الكتابة الادبية وتكافئهم على جهودهم في اعادة ادبنا العربي الى نقطة الصفر.

من الذين يعبرون عنا في المحافل الدولية والمؤتمرات الادبية العالمية؟ ومن الذي تترجم اعماله من المبدعين؟ هل لهم ابداع حقيقي حتى لو كان مجرد صفحة ابداعية واحدة غير مقتبسة، ابحث عنهم ستجد غالبيتهم من محرري الصحف (اصحاب الاعمدة) والمجلات الادبية المصرية كانت ام عربية.

الذين يمررون كتاباتهم السقيمة الرثة بالمصالح المتبادلة ويقدمون صورة غير حقيقية عن ابداعنا للعالم ويفرضون اسماءهم على المراكز الاجنبية المهتمة بالابداع حتى تترجم اعمالهم كما انهم يهيمنون على كل مراكز النشر الحكومية ويتحكمون حتى في دور النشر الخاصة التي اما ان تنشر ابداعهم المتواضع او يتم التعتيم اعلاميا عليها.

اما المتلقون من الجمهور العادي فقبل ان يقضي عليهم التلفزيون بالمسلسلات الرديئة ساهم ادباء ما يعرف بجيل الستينات في توسيع الهوة بينهم وبينه بابداعهم الذي يغلبه الغموض والتعالي فانصرف المتلقي عن الابداع برمته، والعجيب ان هذا الامر ما زال مستمرا فقد هاجموا بعنف وقسوة رواية «عمارة يعقوبيان» لمجرد انها نجحت في التواصل مع جمهور المتلقين الذي لم يكن مهتما على الاطلاق بالقراءة الأدبية، وبدلا من ان يدعموا هذا النوع من الكتابة الذي سيعيد القراء الى الأدب من جديد، هاجموه بحجة انه كلاسيكي او عقيم او اسلوبه صحافي بعيد عن الرزانة الأدبية. ايها السادة الافاضل احتفظوا بالرصانة الأدبية وصونوا لسانكم قليلا حتى ترجع صحفنا تزين صفحاتها بفصول من الروايات كما كان يحدث في الخمسينات وكانت تجتذب آلاف القراء الى ان أتت مدافع اليسار بكتّاب محدودي الموهبة ونقاد على نفس الشاكلة هاجموا هذا النوع من الأدب بضراوة ونشروا البديل الذي ساهم في ازاحة القراء تماما عن طريق الأدب.

باختصار ما فعله اليسار بالثقافة المصرية اشد ضراوة من نكسة يوليو 1967، ودفاعي عن نوع معين من الكتابة ليس معناه انني اكتب بهذه الطريقة او حتى أميل اليها، فالمعنى الحقيقي الذي اردته، ان نحافظ ونرعى ونهتم بهذا الأدب الوسيط الذي يضيف لنا في كل مرة قراءً جددا ينضمون لكتيبتنا، فتنتعش الرواية وبالتالي كافة الاشكال الأدبية الاخرى.

الابداع الروائي العربي المعاصر يتميز بغزارة كمية وضحالة فكرية، القليلون من المبدعين الآن يمكن اعتبارهم تجاوزوا روائيين حقيقيين واغلب مبدعي الصحافة وكل من اعتقد ان حياته من الاهمية بأن تسجل تاريخيا عن طريق سردها عبر رواية واضافة بطولات زائفة من خلال فصول وصفحات من الملل والركاكة والرداءة الفنية والبؤس اللغوي، بكل اتصالاتهم وبفخامة مواقعهم ومهما طنطنت لهم الصحف ومهما نالوا من جوائز، فهم ليسوا بكتّاب وعليهم مراجعة انفسهم.

فهل نتصور ان يترجم كاتب رواية امريكية شهيرة اصبحت فيلما امريكيا اكثر شهرة هو ""Fight Club على انها رواية من تأليفه، للأسف رحب بها الجهلاء وانصاف الأدباء وبعض النقاد ووصفوها بالتحفة الفنية، ماذا نقول؟ ليهنأ بها الناشر الجاهل والناقد المدعي، أما القارئ فمسكين، كيف يتحصن ضد هذه السموم.

لا السرقة تصنع كاتبا ولا طبّال الزفة.. والتاريخ الحقيقي للأدب المعاصر لم يكتب بعد، هم في مزبلة التاريخ بالتأكيد حين يتم انصاف «الشمندورة» و«فساد الأمكنة».

الابداع الروائي العربي المعاصر يتميز بغزارة كمية وضحالة فكرية، القليلون من المبدعين الآن يمكن اعتبارهم تجاوزوا روائيين حقيقيين والأغلب هم من كتاب الصحافة وكل من اعتقد ان حياته من الاهمية بحيث تسجل تاريخيا عن طريق سردها عبر رواية واضافة بطولات زائفة من خلال فصول وصفحات من الملل والركاكة والرداءة الفنية والبؤس اللغوي!

نادي كتّاب الرواية.. مع من، ضد ماذا؟

حمدي الجزار

■ أظن ان الاستخدام المفرط لمصطلحات «الرواية الجديدة» لوصف مشهد الرواية في مصر اليوم هو استخدام قديم، مستهلك، حاول وصف التيارات المستخدمة التي ظهرت في تاريخ الرواية المصرية، استخدمه الروائيون والنقاد كثيرا حتى ذبل وفقد محتواه المعرفي الدال، ولم يعد معبرا عمّا يحدث الآن من تجديد في فن كتابة الرواية في مصر.

لست هنا بصدد تتبع سيرة المصطلح في أدبنا المصري والعربي، فقط اقول اننا بحاجة الى ابداع نقدي مواز للانتاج المطروح الآن على الساحة الأدبية المصرية، خاصة ما يقدمه الروائيون الأصغر سنا، بعيدا عن الحصر النقدي التبسيطي الذي يستعمل مقولتي «الجيل» و«الجديد» ليتملص من المهمة الاجدر بكل نقد مبدع.

ما يحدث في كتابة الرواية المصرية الان هو «فورة لا تجد دعمها» بتعبير جمال الغيطاني، وهو «حركة تكسر الدنيا وليس ليس ها هنا دنيا» بتعبير بهاء طاهر تعليقا على اعمال الكتاب الجديد.

هذا افضل كثيرا من اعادة اجترار مصطلح الرواية الجديدة المنهك والذي ارتبط بما انجزه الروائيون الذين حوصروا تحت يافطة «جيل الستينات».

افضل ان انظر الى مشهد الرواية الآن بوصفه حقلا مفتوحا، متعددا، ومتنوعا بشكل لم يحدث من قبل في الأدب المصري، فما زال الكتاب الراسخون يتابعون اصدار اعمالهم وبعضها اكثر تواصلا مع واقعنا السياسي والاجتماعي والقضايا الجمالية للرواية من اعمال بعض الشباب، هناك كتّاب جدد يخطون مشروعاتهم الروائية والجمالية الخاصة بدأب واصرار، هناك اعراض عن مواصلة طريق الشعر وانحسار للقصة القصيرة، ولجوء غير مسبوق لفن الرواية، في المقابل هناك جدب في الفكر النقدي والفلسفي.

الرواية المصرية الآن تقوم بأدوار لم تقم بها من قبل مطلقا! اضف الى ذلك الحضور النسبي للقارئ مشتري الرواية، كطرف فاعل في تقرير جدارة عمل فني، والذي منح بعض الروايات نجاحا استثنائيا «عمارة يعقوبيان» مثلا والتحرر النسبي من صعوبات النشر مع ظهور دور نشر خاصة مستقلة متحيزة للرواية وكتّابها الشباب، والحضور الكبير لشبكة الانترنت كناشر، وكفضاء اوسع وأبرح من الرواية الورقية.

مشهد الرواية مزدحم بكتّاب من مختلف الاجيال يصنعون النصوص الجيدة التي ستبقى بعد ان يقوم الزمن بالفرز والاستبعاد واضفاء القيمة، هناك ايضا كتّاب خطوا لأنفسهم حضورا قويا منذ العمل الاول.

اتجنب هنا ذكر الاسماء لئلا يتحول ما اكتب الى جملة واحدة طويلة ترص الاسماء رصا. هناك تجديدات وتغييرات كثيرة حاول الكتّاب الجدد ادخالها على شكل الرواية الراسخة لدينا ولغتها، وليس من النادر، الآن، ان نقرأ تقييمات نقدية تصف بعض الاعمال الجديدة بأنها «انجاز ابداعي متميز، تعبير سردي مستحدث»، «اضافة جديدة تحتوي على الاصالة والمعاصرة»، «رواية تمثل نقلة نوعية للرواية الجديدة» او «تحوي هذه الرواية رؤية فنية نفاذة تخترق صلابة الواقع الراهن المتجمد على اعراف بالية، ودعوة للتمرد الخلاق»، او «هذه رواية مرشحة بامتياز لأن تكون نواة جيدة لنص تشعبي ينشر على الشبكة العالمية، وتقدم تصورا خاصا للبناء الروائي»، كل هذا معناه ان هناك تيارا جديدا يحاول الاختلاف عن اسلافه على مستوى السرد واللغة والرؤية.

الأهم، من وجهة نظري، هو انه لم تعد هناك وصفة جاهزة لصنع رواية جيدة يكتبها شاب على النحو الذي شاعت به الوصفة الجاهزة لكتابة قصيدة نثر في التسعينات.

هناك مشاريع فنية تبدو مستقلة يحكمها وعي الكاتب وتجربته الفنية وأفضل تلك النصوص، في رأيي، هي التي تكتشف فيها الصوت الفني الخاص بالكاتب واسئلته القلقة التي يحاول الاجابة عنها في عمله. ومع ذلك فقد تسربت نفس المساوئ التي استشرت في قصيدة النثر وانتقلت الى حقل الرواية، الوصفة الجاهزة في استخدام لغة حياد بارد هربا من ابداع لغة روائية خاصة، استهلاك التجربة الشخصية بحيث تبدو وكأنها تستحق الكتابة من اصله، عدم الوعي بالرواية كفن وتحويلها الى نوح مجاني، من لا يعرف القوافي والبحور الشعرية اذا أراد ان يكتب الشعر فعليه بقصيدة النثر، ومن لا علاقة له بالتراث الحي المتجدد للرواية فما عليه سوى كتابة رواية جديدة!

أرى ان انتاج أي كاتب ما هو إلا اجابة عن سؤال ماهية النوع الفني الذي يمارسه، جمالياته ولغته، وحدوده ومغامراته.

النصوص الجيدة الجميلة، ما زالت قليلة، بعضها ضائع بين كم الروايات الرديئة، وبعضها مطمور تحت تراب تصنعه المصالح والشلل والمجاملات والصداقات الزائفة التي لا علاقة لها بالفن او حتى بالاخلاص للذات فحسب!

ومع ذلك فالروايات الجيدة ستبقى لأنها مشاريع حياة كتّابها، ولأننا في حاجة اليها. أما ما كنت اطمح الى تحقيقه في عملي، وانا اقصد هنا تجربة الوصول الى نص يتجرأ كاتبه على نشره على الملأ، والملأ عندنا قليل للغاية. هذا شيء يخص كل منا على حدة.

واتصور انه لكي تكتب رواية لا يكفي وجود غرفة خاصة واوراق واقلام كما تطلب فرجينيا وولف، لا يكفي ان تقرأ ألف رواية وتنساها كما هي نصيحة الشاعر المخضرم للشاعر الناشئ، لا يكفي ان تدخل في تجربة، مع اننا جميعا ندعو الله ألا يدخلنا في تجربة، لا يكفي ان تقرأ تلالا من المجلدات حول تاريخ الرواية ومعمارها وجمالياتها ونماذجها الكلاسيكية الكبيرة، اذا حاولت فعل كل هذا فلن توفر لك سنوات العمر، مهما طالت، انجاز هدفك.

بالنسبة لي، كان تحاشي هذه الافعال يعني لي الغرور، لم أكن حكيما، كنت ـ فقط ـ مرعوبا من الكتابة، اهرب منها هروبي من اسد مفترس، ما الحاجة الشخصية اليها ما دمت استمتع اكثر بعرق الآخرين وكفاحهم من اجل كتابة روايات جيدة استمتع بها أنا. هناك كتّاب من عينة ديستيوفسكي وكازانتزاكيس وهيرمان هسه يجعلونك تيأس من كتابة أي حرف بعدهم، فقلت أكتب من أجل اشياء كثيرة ذكرها آخرون: مثلا: «لأحقق ذاتي»، «لأن لديّ ما اقوله»، «ليحبني اصدقائي اكثر»، «لأكسب قوتي»، «لأعيش»، كل هذه اسباب وجيهة للكتابة، لكنني لم اكتب سوى لأصنع كتابة جيدة لا أخجل منها! لأحاول ان أهب الآخرين متعة ما، لأقول انني احب الحياة وهي جميلة ويجب ان تكون أجمل، هكذا نعم، عندما كنت في العشرين قلت ان قراءة كتّاب يجب ان تساوي مضاجعة امرأة جميلة وإلا فالكتاب رديء.

أما عن تطور المشهد الراهن ومستقبل الرواية فأراه ملكا لأولئك الكتّاب الذين لديهم مشاريع روائية حقيقية، قابلة للتطوير والنمو، سيكون لدينا كتّاب جيدون مختلفون ومتنافرون، هم اولئك الذين سيقاتلون ويكافحون لصيانة انفسهم من امراض واقعنا الثقافي من جهة، وخراب حياتنا السياسية والاقتصادية من جهة اخرى، اولئك الذين يخلصون للكتابة ولأنفسهم ولناسهم وللقيم الانسانية الاساسية التي لا حياة لكاتب او ابداع بدون الدفاع عنها، أعني الحرية والعدل والجمال والمساواة والابداع.

الكاتب الجزائري أحمد دلباني:

الحاضر هو الذي ينتج التراث ويعيد إنتاجه!

الجزائر ـ «القدس العربي»:

أحمد بوعلام دلباني، صوت شعري حداثي بدأ يكتب في نهاية ثمانينيات القرن الماضي، وقد لعب تخصصه في الفلسفة دورا حاسما في توجهه الى كتابة المقالة الفكرية، ومتابعة تحولات المشهد الفكري والفلسفي المعاصر، ورغم استمراره في كتابة الشعر الا انه لم يصدر أي كتاب في هذا المجال لحد الآن، وبالمقابل صدر له في الآونة الاخيرة كتاب «مأدبة المتاهة»، وهو عبارة عن مقالات فكرية متفرقة كان قد كتبها ونشرها في بعض الصحف والمجلات في المدة بين 2000م و2003.

أحمد دلباني (القدس العربي)

■ انتظرنا منك ديوانا شعريا، واذا بك تفاجئنا بكتاب ذي طابع فكري، هل قهرت الشاعر الذي يسكنك؟

■ الكثير من الأصدقاء انتظروا مني فعلا ولوج عالم النشر بمجموعة شعرية، أنا اليوم ارجئ هذا لأسباب شخصية، تعود الى مزاجي العام والى اهتماماتي الفكرية والثقافية عموما، واذا جاز لي أن استعير تلك المقابلة النيتشوية الشهيرة بين «ديونيسوس» و«أبوللون» أي بين اله السكر والعربدة والاحتضان المأساوي للحياة من جهة، واله العقل والمنطق والشمس والنظام من جهة اخرى، لاستطعت القول ان ما يؤلف حضوري الفكري والأدبي اليوم، هو تلك المحاولة الابوللونية في السيطرة على الصوت الليلي والطالع من سديم الذات، بوصفها علامة على دبيب اللحظة التاريخية. هذه هي مهمة الفكر بعامة، ان منازلة «ديونيسوس» الشاعر «وأبوللون» المفكر في ذاتي لم تحسم نهائيا، ولكنها منذ مدة طويلة ترجح كفة «أبوللون» أي العقلانية المنفتحة والنقد الممارس بوصفه مراجعة دائمة لاحداثيات خطاباتنا المتكاثرة، هذا هو التوتر الذي أعيشه كيانيا، والذي يبدو جليا في النصوص والمقالات التي تؤلف «مأدبة المتاهة».

■ ما الذي يجمع المشهد الشعري الجديد بصدام الحضارات في كتاب واحد، وماذا تبقى من تلك الأسئلة الآن والعالم يشهد تغيرات متسارعة؟

■ هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات المكتوبة حول الراهن المعقد، والخيط الرفيع الذي يجمع شتات هذه الفسيفساء، هو صدورها عن رؤية واحدة في محاولة الاصغاء الى ايقاع اللحظة التاريخية التي نعيش، والتي تشهد تغيرا كبيرا، وهذا من خلال التجليات الخطابية المختلفة ومن منظور اركيولوجي ونقدي ـ ثقافي، يسائل الانساغ التي تغذي سلطة المعنى والدلالة في الحاضر.. ان هذا الكتاب بالتالي ليس سفرا في النقد الادبي بمفهومه الرائج وانما هو شذرات تحاول قراءة الذات التاريخية وسبر تشكل ملامح وجه جديد للكينونة بعد ثلاثي اليتوبيات الثورية وتأزم العقلانية وخطاب الحداثة الكلاسيكية امام انفجار اللامعقول، من هنا الحديث عن حساسيات شعرية جديدة انتصب التاريخ أمامها تمثالا من الملح، من هنا بروز الاصوليات المختلفة في صورة طوطمية جديدة تشكك في الحداثة وقيمها، من هنا غياب بوصلة الاتجاه. ان احدى مهام الفكر اليوم بالتالي تكمن في استبصار الراهن ومحاولة تجاوز مأزق الصدام والاصولية والانكفاء على الذات، بالتأسيس لشروط جديدة تفتح افقا للحوار والتواصل بعيدا عن لعبة التمركز والنبذ، وهذا باحتضان العقل لرحابة الواقع وتعقيده وفضح البطانة الايديولوجية لنزعات الهيمنة.

■ نعود الى المشهد الشعري الجزائري التسعيني، كيف تقرأ مآل تلك التجربة الآن، خصوصا وانت الشاعر نفسه الذي ينتمي الى الحساسية؟

■ في الحقيقة اعتقدت انه سيكون من الممتع للغاية أن أقدم شهادة على مرحلة شعرية في الجزائر المستقلة ـ وهي حقبة التسعينيات ـ محاولا اضاءة معالم وملامح الحساسية الشعرية الجديدة، التي شكلت برأيي قطيعة جمالية ورؤيوية مع ما سبقها، وما اثارني اكثر هو تقاعس النقد المحترف عن الالتفات الى ما يعمل داخل رحم التوثب الابداعي الجزائري، وعدم خروجه من منطق الاستهلاك للمنجز النقدي الغربي في صورته المدرسية، وعدم تعففه عن المحاباة في دراسة هذا الشاعر أو ذاك، من هنا رأيت انني ملزم بطرح شهادة عن جيل ـ انا واحد منه ـ يفصح خطابه عن حساسية جديدة ترسم احداثيات حضور كينوني متميز، محاولا الانفتاح ايضا على تجذر هذا الخطاب التاريخي المرتبط بانفجار اللامعقول في جزائر التسعينيات، وأعتقد اليوم ان هذا الخطاب الشعري يشكل متنا متميزا وفصلا من فصول ذاكرتنا الادبية الاكثر نتوءا والأكثر دلالة على مرحلتها وسط الركام الهائل من الكتابات في نفس المرحلة ـ أي التسعينيات ـ والتي تكدست هشيما تذروه رياح الزمن، وطبعا يبقى على النقد ان يقول كلمته في هذا بأدوات تنفتح على واقعة الخطاب في سديم الغبار التاريخي.

■ اذا عدت الى نيتشه مجددا، هل ستقرأه بنفس الطريقة التي قرأتها في كتاب قبل سنين من كتابة المقال؟

■ ان سؤالك هذا يدفع بي مباشرة الى طرح مشكلية التراث وقراءة التراث، بمعنى أن نيتشه مثلا ـ بوصفه موروثا فكريا غربيا ـ يتمتع منذ مدة بحضور متميز شرقا وغربا ويتم استحضاره ومساءلته من جديد، وهذا لا يرجع الى قيمته الذاتية فحسب، وانما لطبيعة المرحلة الحالية التي تشهد تراجع اليوتوبيا التاريخية الثورية، وتفكك المنظومات الفكرية الشمولية وبروز القوى الخفية المظلمة التي تتحكم في انتاج الواقع والخطاب، بعيدا عن الذات والوعي والعقل، هذا ما يمنح حضور «نيتشه» اليوم نبرة خاصة. أردت ان أقول ان الحاضر هو الذي ينتج التراث ويعيد انتاجه: فالتراث ليس متحفا جامدا وانما هو حضور ودلالة على وعي المرحلة وتوجهها العام.. و«نيتشه» يلبي منذ مدة حاجة فكرية وروحية وايديولوجية في الغرب الذي يعيد قراءة حداثته المأزومة وأزمة العقلانية فيه.

التقاه: الخير شوار

عدد خاص من «مشارف» بأقلام عراقية في الوطن والمنافي

حيفا ـ «القدس العربي»:

هناك أكثر من مغزى ضمن قرار مجلة «مشارف»، الفصلية الثقافية التي تصدر في حيفا، احتضان النص العراقي/نص العراق، في آخر أعدادها، شتاء–ربيع 2006، الذي يحمل الرقم (29). وإن كانت افتتاحيتها قد أفاضت في تقديم واستضافة تلك النصوص، فقد سبقها الى ذلك غلافها المرسوم بأدوات التشكيل.

فعلى امتداد غلافيها، الأول والأخير، تروح العين تلتقط أسماء لمبدعات ومبدعين عراقيين فيما يشبه الخارطة. كانت هذه مقولة الرسام العراقي سعيد فرحان في هذه اللوحة الخاصة بالمجلة، التي رسم فيها جغرافية مدن العراق بأسماء بناتها وأبنائها المبدعين.

أما افتتاحية «مشارف» فقد أحسنت الاحتفاء حين قالت إن المجلة «لا تأخذ بيد نص العراق، في أشدّ ساعات محنة هذا البلد حلكةً، بقدر ما يأخذها النص العراقي، على تفرّعات أنواعه وعلى تشعباته الجغرافية، عياناً بياناً، الى مناطق جديدة، فنكتشفها ونسبر غورها ونتعلم منها الكثير الكثير، عن العلاقة بالمكان وأبعادها، وعن المخيلّة التي قال عالم عبقري ما إن قيمتها تضاهي قيمة المعرفة، والتي تتمظهر هنا في مناخٍ تفجّر أسئلة مكبوتة وتلامس حالاتٍ قصوى تراود المبدع والقارئ على السواء».

جاءت مواد هذا العدد الغني كلها خاصة بالمجلة، توزّعت بين الشعر والقصة والشهادة والدراسة. وهي بأقلام عراقيين منهم من يعيشون في وطنهم وآخرون في المهجر أو الشتات.

اختارت «مشارف» الشاعر الكردي شيركو بيكه س ليفتتح العدد بقصائده التي ترجم بعضها عن لغته الكردية الى العربية بنفسه، وترجم الأخرى نوزاد أحمد أسود، وهي: أخاف من الجموع / مقبرة الفوانيس / أناشيد حجريّة / العراق / السفر / أمي.. هناك في ما وراء المحيطات. الى جانبه في باب الشعر تطلّ دنيا ميخائيل في ثلاث قصائد: لارسا / عالم آخر. فاضل العزاوي يساهم بقصيدته «هبوط فاضل الى العالم». سركون بولص في ثلاث قصائد: إلى سيدّ الوليمة / العقرب في البستان / ومرثية الى سينما بغداد. أما فوزي كريم فنقرأه في: بكّرت للخمرة كي أجرؤ / المدينة / إقامة مؤقتة / جدار / كاتم الصوت / تضحية / الصرخة / وصباح اليوم قرأت على عجل أخبار اليوم. وخصّ هاشم شفيق المجلة بفصل من «البحث عن الزمن الحاضر»، وهو ديوان قيد الكتابة في السيرة الذاتية. في نفس الباب: قصيدة «الحلزون» لياسين طه حافظ. «عشر قصائد» لعبد الكريم كاصد. قصيدة «نام الرعاة» خزعل الماجدي الى جانب سبع قصائد أخرى. «الاشتغال في غابات الفردوس» لبختيار علي، ترجمها عن الكردية هوشنك الوزيري. قصيدة «أحآه» لقاسم جبارة. ويشارك الشاعر الاسرائيلي من أصل عراقي روني سوميك في «7 اقصائد»، ترجمها سلمان مصالحة عن العبرية.

يبرز حضور لافت للقصة القصيرة في هذا العدد من «مشارف»، حيث نقرأ: «باتجاه المزيد من الينابيع» لجليل القيسي. «الحافة» لعبد الإله عبد الرزاق. «رحلة الى افريقيا» لسعيد فرحان. «يوم الأحد» لسالمة صالح. «دروكوكو» لمحمود عبد الوهاب. «الديك الذي اختفى» لعبد الستار ناصر. «بريق» لأحمد خلف، «طائر من معدن» للؤي حمزة عباس. «عيوب كاتب قصة» لعبد الله طاهر. «الستون» لمحمد خضيرّ. «محاكمة الطير» لإبراهيم أحمد. ونقرأ أيضًا «زهرة أوكيناوا» وهو فصل من رواية غير منشورة للطفية الدليمي.

بين الشهادات والرؤى والدراسات تقدّم «مشارف» شهادة تحت العنوان «الستينيون: أفراد وفواصل» للشاعر ياسين طه حافظ، وشهادة ثانية يعود فيها ساسون سوميخ، أستاذ الأدب العربي، اليهودي من أصل عراقي، الى «بغداد 1950: لا شيء غير الأدب». وأيضاً، «سبعينيات اتحاد الأدباء: أكاديمية خارج النص» لخزعل الماجدي، بينما يتناول القاص محمد خضيرّ القصة العراقية من جهة التحديث في «هوامش على أنطولوجيات السرد». أما خاتمة العدد فقد جاءت في دراسة لفوزي كريم بعنوان «لا تكن خصمي.. ولا حكمي: الجواهري وسلطات القمع الثلاث» تناول فيها الصراع ما بين فردية الشاعر وتمرّده وبين السلطات المتمثلة بالدولة، الشارع والموروث.